

الحلقة الثالثة  
قصص الخلفاء الراشدين

الْقِصَصُ الدِّينِيُّ

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ

عبد الحميد جودة السحار

١٢

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« مَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى  
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ ، فَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » .

(قرآن کریم)

دُفِنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، بعد أن قَتَلَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ ،  
وبعد أن جعلَ الْخِلَافَةَ فِي عَالِي وَعِثْمَانَ وَسَعْدِ بْنِ  
أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَطَلْحَةَ بْنِ عُيَيْدٍ  
اللَّهِ . وقد قَابَلَ الْعَبَّاسُ ابْنَ أَخِيهِ عَالِيَّ بْنَ أَبِي  
طَالِبٍ ، بعد أن طَعَنَ عُمَرُ وَسَأَلَهُ :

— مَا الْعَهْدُ يَا أَبَا الْحَسَنِ ؟

قَالَ عَالِيٌّ :

— جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ .

فَاطْرَقَ الْعَبَّاسُ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ :

— يَا بْنَ أَخِي ، لَا تَدْخُلْ مَعَهُمْ ، وَارْفَعْ نَفْسَكَ

عَنْهُمْ .

فقال عليٌّ في رفقٍ :

- إني يا عمُّ أكرهُ الخِلافَ .

فقال العباسُ في ضيقٍ :

- إذن ترى ما تكره .

وسرى في المدينة قلقٌ بعد دفنِ عمر ، فراح النَّاسُ يتساءلونَ عمَّن يكونُ خليفةَ المسلمين ، وأشفقَ المشفقونَ على المسلمينَ أن ينشقُّوا طوائفَ وشيعا ، وأن يدبَّ الخِلافُ بينهم ، ولَمَّا استقرَّ الإسلامُ بعدُ في الأمصار التي فتحوها ، وجعلَ المُخلصونَ يدعونَ اللهَ أن يُجَنِّبَهُم فتنةَ الدنيا .

واتجه عليٌّ وعثمانُ وسعدُ وعبدُ الرَّحمنِ والزُّبيرُ وطلحة ، رهطُ الشُّورى ، نحوَ غرفةِ عائشة ، ليجتمعوا فيها ، وينتخبوا من بينهم خليفةً للمسلمين ، وتقابلَ عليٌّ وعمُّه العباسُ ، فقال عليٌّ :  
- سعدُ لا يخالفُ ابنَ عمِّه عبدَ الرَّحمنِ ، وعبدُ الرَّحمنِ صهرُ عثمانَ لا يختلفون ، فيوليها عبدُ الرَّحمنِ

عثمان ، أو يوليها عثمانُ عبدُ الرَّحْمَنِ ، فلو كان  
الآخِرَانِ معي لا يَنْفَعَانِي ، بَلَّةَ أَنِّي لَا أَرْجُو إِلَّا  
أَحَدَهُمَا .

فقال له العباس :

- لم أدْفَعْكَ فِي شَيْءٍ إِلَّا رَجَعْتَ إِلَى مُسْتَأْخِرٍ بِمَا  
أَكْرَهَ ! أَشَرْتُ عَلَيْكَ عِنْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَسْأَلَهُ فِيمَنْ هَذَا الْأَمْرُ فَأَيُّتَ ،  
وَأَشَرْتُ عَلَيْكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَنْ تُعَاجِلَ الْأَمْرَ فَأَيُّتَ .  
احْفَظْ عَنِّي وَاحِدَةً : كُلَّمَا عَرَضُوا عَلَيْكَ الْقَوْلَ ،  
فَقُلْ : لَا ، إِلَّا أَنْ يُؤَلَّوْكَ .

ودخل على حِجْرَةَ عَائِشَةَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُثْمَانَ  
وَالزُّبَيْرَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ وَسَعْدَ ، وَلَمْ يُقْبَلْ طَلْحَةَ ، فَقَدْ  
كَانَ غَائِبًا ، ودخل ابنُ عَمْرِو بْنِ  
الْعَاصِ وَالْمُعِيزَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، فَجَلَسَا بِالْبَابِ ، فَلَمَحَهُمَا  
سَعْدُ ، فَحَصَبَهُمَا وَأَقَامَهُمَا ، وَقَالَ لهُمَا :

— أتريدان أن تقولاً حضرنَا وكُنَا فِي أَهْلِ الشُّورَى .

وَدَارَ النَّقَاشِ بَيْنَ أَهْلِ الشُّورَى ، وَكَثُرَ بَيْنَهُمُ  
الْأَخْذُ وَالرَّدُّ ، وَالْجَذْبُ وَالشَّدُّ ، وَجَعَلَ كُلُّ مِنْهُمْ  
يَذْكُرُ فَضْلَهُ وَأَحَقِّيَّتَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ دُونَ الْجَمِيعِ ،  
وَمَرَّتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَلَمْ يَنْتَهَوْا إِلَى رَأْيٍ ، فَقَالَ عَبْدُ  
الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ :

— أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ هَذَا يَوْمٌ عَزَمَ عَلَيْكُمْ  
صَاحِبُكُمْ (عمر) أَنْ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ حَتَّى تَسْتَخْلِفُوا  
أَحَدَكُمْ .

— أَجَلٌ .

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ :

— أَيُّكُمْ يُخْرِجُ مِنْهَا نَفْسَهُ ، وَيَتَقَلَّدُهَا عَلَى أَنْ  
يُولِيَهَا أَفْضَلَكُمْ ؟ (أَيُّ عَلَى أَنْ يَخْتَارَ أَفْضَلَكُمْ) .

سَكَتُوا ، وَسَادَ السَّكُونُ بَرَهَةً ، ثُمَّ قَالَ عَبْدُ  
الرَّحْمَنِ :

- أنا أنخلع منها .

فقال عثمان :

- أنا أوّل مَنْ رَضِيَ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ ،

أَمِينٌ فِي السَّمَاءِ » .

فقال الزُّبَيْرُ :

- قد رَضِينَا .

وقال سعد :

- قد رَضِينَا .

وظَلَّ عَلَى سَاكِنَا لَا يَنْطِقُ حَرْفًا ، تَذَكَّرَ قَوْلَ

الْعَبَّاسِ لَهُ : كُلَّمَا عَرَضُوا عَلَيْكَ الْقَوْلَ ، قُلْ : لَا ،

إِلَّا أَنْ يُولَّوكَ ؛ وَهَمَّ أَنْ يَقُولَ : لَا ، وَلَكِنْ صَوَّتَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ رَنًّا فِي أُذُنِهِ .

- مَا تَقُولُ يَا أَبَا الْحَسَنِ ؟

فقال عليّ :

— أَعْطِنِي مَوْثِقًا لَتُؤَيِّرَنَّ الْحَقَّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى ،  
وَلَا تَخْصُ ذَا رَحِمٍ ، وَلَا تَأْلُو الْأُمَّةَ .

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ :

— أَعْطُونِي مَوَالِيْقَكُمْ عَلَى أَنْ تَكُونُوا مَعِيَ عَلَى مِنْ  
بَدَلٍ وَغَيْرٍ ، وَأَنْ تَرْضَوْا مِنْ اخْتَرْتُ لَكُمْ عَلَى مِيثَاقِ  
اللَّهِ إِلَّا أَخْصُ ذَا رَحِمٍ لِرَحِمِهِ ، وَلَا آلُو الْمُسْلِمِينَ .

فَأَخَذَ مِنْهُمْ مِيثَاقًا وَأَعْطَاهُمْ مِثْلَهُ ، وَانْصَرَفَ  
الْجَمِيعُ وَقَدْ تَرَكَ الْأَمْرَ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ  
عَوْفٍ . وَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى عَلِيٍّ وَقَابَلَهُ عَلَى  
انْفِرَادٍ ، وَقَالَ لَهُ :

— إِنَّكَ تَقُولُ إِنِّي أَحَقُّ مِنْ حَضَرٍ بِالْأَمْرِ ،  
لِقَرَابَتِكَ ، وَسَابِقَتِكَ ، وَحَسَنِ اثَرِكَ فِي الدِّينِ ، وَلَمْ  
تَبْعُدْ وَلَكِنْ أَرَأَيْتَ لَوْ صُرِفَ هَذَا الْأَمْرُ عَنْكَ فَلَمْ  
تَحْضُرْ ، مَنْ كُنْتَ تَرَى مِنْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ أَحَقُّ  
بِالْأَمْرِ ؟



قال علي :

- عثمان .

وانصرف من عند علي ، وذهب إلى عثمان ،

وخلا به ، وقال له :

- تقول شيخ من بني عبد مناف ، وصهر رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، وابن عمه ، لي سابقة

وفضل ، ولم تبعد ، فلم يصرف هذا الأمر عني ؟

ولكن لو لم تحضر ، فأى هؤلاء الرهط تراه أحق به ؟

قال عثمان دون تردّد :

- علي .

وقابل عليّ سعد بن أبي وقاص ، وكان معه

الحسين ، فقال لسعد :

- اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إنّ الله

كان عليكم رقيبا ، اسألك برّحم ابني هذا من

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرّحم عمي

حمزة منك ، ألا تكون لعبد الرحمن لعثمان ظهيراً  
عليّ ، فإنّي أذلي بما لا يذلي به عثمان .

وراح عبد الرحمن بن عوف يدور على أصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن نزل المدينة  
من أمراء الأجناد وأشراف الناس ، يُشاورهم  
ويسألهم عمّن ينتخبونه خليفة لهم ، وبلغ الجهد  
بعبد الرحمن مُتناه ، فأرسل في طلب الزبير وسعد ،  
فوافاه الزبير في المسجد ، فسأله رأيّه للمرة  
الأخيرة ، فقال الزبير :

- نصيبي لعليّ .

وأقبل سعد في سكون الليل ، فقال له عبد  
الرحمن :

- أنا وأنت كالألة ( ابنا عم ) فاجعل نصيبك لي

فأختار .

قال له سعد : إن اخذتَ نفسك فنعيم ؛ وإن  
اخذتَ عثمانَ فعليُّ أحبُّ إلى . أيُّها الرجلُ بايعَ  
نفسك ، وأرحنا وارفع رءوسنا .

- يا أبا إسحاق ، إنى قد خلعتُ نفسي منها ،  
على أن أختار . لا يقومُ مقامُ أبى بكرٍ وعمرَ أحدٌ  
فيرضى الناس .

- فإنى أخافُ أن يكونَ الضعفُ قد أدركك ،  
فامضِ لرأيك ، فقد عرَفْتَ عهدَ عمر .

وأصبحَ الصُّباحُ ، وخرجَ النَّاسُ إلى المسجدِ  
زُرُافَاتٍ زُرُافَاتٍ ، لَيَرَوْا ما قَرَّ عليه رأى رَهْطِ  
الشُّورى ، وصَلَّى النَّاسُ الصُّبحَ ، ثم جَمَعَ عَبْدُ  
الرَّحْمَنِ الرَّهْطَ ، وأرسلَ إلى أُمراءِ الأجنادِ ،  
وتوافدتْ جُمُوعُ النَّاسِ حَتَّى ازدحمَ المسجدُ ، ووقفَ  
عبدُ الرَّحْمَنِ ، فسكتَ الجميعُ وأعاروه سمعَهم ،  
فقال :

- أيها الناس ، إن الناس قد أحبوا أن يلحق أهل  
الأمصار بأمصارهم ، وقد علموا من أميرهم .  
فصاح صائح : إنا نراك لها أهلا .

فقال عبد الرحمن : أشيروا عليّ بغير هذا .

فقال عمار بن ياسر ، وكان يحبّ عليّا :

- إن أردت أن لا يختلف المسلمون ، فبايع عليّا .

فصاح المقداد الأسود ، وكان من شيعة عليّ :

- صدق عمار ، إن بايعت عليّا سمعنا وأطعنا .

فصاح عبد الله بن أبي سرح ، وكان يحبّ

عثمان :

- إن أردت أن لا تختلف قريش ، فبايع عثمان .

فصاح آخر مؤمنًا :

- إن بايعت عثمان قلنا : سمعنا وأطعنا .

فثار عمار ، وشم ابن أبي سرح ، وقال في

سخرية :

- متى كنت تنصح المسلمين ؟ !

وسكت ابن أبي سرح ، فقد تذكر أن النبي قد غضب عليه يوماً ، وأهدر دمه .

وأخذ بنو هاشم يعدّون مناقبهم ، وأخذ بنو أمية يذكرون فضلهم ، وصاح عمار :

- أيها الناس ، إن الله عز وجل أكرمنا بنبيه ، وأعزنا بدينه ، فأني تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ؟ !

فصاح أحد أنصار بني أمية :

- لقد عدوت طورك يا ابن سمية ( أمّ عمار ) ،

وما أنت وتأمير قریش لأنفسها ؟

غيره نصير بني أمية بأنه عبد ليس له في الأمر شيء ، ونسي أن الإسلام قد سوى بين العبيد والأحرار .

واقرب سعد بن أبي وقاص من عبد الرحمن ،

وقال له :

- يا عبدَ الرَّحْمَنِ ، افرُغْ قَبْلَ أَنْ يَفْتَقِنَ النَّاسُ .

فأشارَ عبدُ الرَّحْمَنِ ، فلاذُوا بالصمتِ ، فقال :

- إني قد نظرتُ وشاورتُ ، فلا تجعلُنَّ أثَها

الرُّهْطُ على أنفُسِكُم سِيلا .

ودعا عليًا فقال :

- عليك عهدُ اللَّهِ وميثاقُه لتعملنَّ بكتابِ اللَّهِ

وسنةَ رسولِهِ وسيرةَ الخلفَينِ من بعده ؟

وفرِح أنصارُ عليٍّ ، حسبوا أنَّ عبدَ الرَّحْمَنِ قد

بايعَ عليًا للمسلمينَ ، ولكنَّ عليًا قال :

- أرجو أن أفعلَ ، وأعملَ بمبلغِ علمي وطاقتي .

لم يشأَ عليٌّ أن يتقيَّدَ بسيرةِ الخلفَينِ أبي بكرٍ

وعمرَ ، بل رأى أن يعملَ بمبلغِ علمِهِ وطاقتِهِ

واجتهادهُ ، فدعا عبدُ الرَّحْمَنِ عثمانَ ، وقال له :

- عليك عهدُ اللَّهِ وميثاقُه لتعملنَّ بكتابِ اللَّهِ

وسنةَ رسولِهِ وسيرةَ الخلفَينِ من بعده ؟

فقال عثمان :

- نعم .

قبل عثمان أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله  
وسيرة الخلفتين من قبله ، فقال له عبد الرحمن :  
- إني أبايعك أميراً للمؤمنين .

فتار أنصار علي ، وأظهروا استيائهم ، وقال علي  
لعبد الرحمن :

- ليس هذا أول يوم تظاهرتُم فيه علينا ، فصبر  
جميل ، والله المستعان على ما تصفون .

وأسرع الناس إلى عثمان ، وأخذوا يبايعونه أميراً  
للمؤمنين ، وتلكا علي ، فأسرع إليه عبد الرحمن  
وقرأ : « من نكث فإنما ينكثُ على نفسه ، ومن  
أوفى بما عاهدَ عليه الله ، فسيؤتيه أجراً عظيماً » .

فراح علىَّ يشقُّ الناس ، حتى بلغ عثمانُ الجالسَ  
على الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ من المنبر ، وهو يقول :  
- خِدْعَةٌ أَيُّهَا خِدْعَةٌ .

وتقدَّم منه وبأيعه ، فأصبح عثمانُ بنُ عفَّانَ أميرَ  
المؤمنين ، وثالثَ الخلفاء الراشدين .